# خُطَب الجُمُعات في المرقد الحسيني بعد سنة ٢٠٠٣م خصائصها وأثرها في تحقيق السلم المجتمعي

م. د. أحمد مهلهل مكلف الأسدي

جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

ahmed.mhalhal@uokerbala.edu.iq

م.م. أحمد باسم حسن الأسدي

جامعة كربلاء - مركز التعليم المستمر

Ahmed.b@uokerbala.edu.iq

# خُطَب الجُمُعات في المرقد الحسيني
# بعد سنة ٢٠٠٣م خصائصها وأثرها في تحقيق السلم المجتمعي

**م. د. أحمد مهلهل مكلف الأسدي**

جامعة كربلاء كلية التربية للعلوم الإنسانية

ahmed.mhalhal@uokerbala.edu.iq

**م.م. أحمد باسم حسن الأسدي**

جامعة كربلاء - مركز التعليم المستمر

Ahmed.b@uokerbala.edu.iq

**المستخلص:**

نظرًا للأهمية الكبيرة التي احتلّتها خطب الجمعات في كربلاء المقدسة محليًّا وخارجيًا، جاءت هذه الدراسة لتُسلّط الضوء على تلك الأهمية للخطب مع بيان خصائصها، ثم التعرّض لأهم الأحداث التي زعزعت السلم المجتمعي العراقي، ويأتي بعدها ذِكر مواقف المرجعية منها، تلك المواقف التي عبّرت عنها كثيرًا خطبة الجمعة، التي كان لها أبلغ الأثر في تحقيق السلم بين أبناء العراق.

وهذه الدراسة في الحقيقة، اعتمدَت بالدرجة الأساس على نصوص خطب الجمعات مع الرجوع إلى القليل من المصادر الأخرى.

الكلمات المفتاحية: خطب الجمعات، الخطاب الديني، السلم المجتمعي، المرجعية الدينية.

# Friday Sermons in the Husseini Shrine after 2003: Characteristics and Their Impact on Achieving Social Peace

Dr. Ahmed Muhalhal Maklaf Al-Asadi

*University of Karbala, College of Education for Human Sciences*

ahmed.mhalhal@uokerbala.edu.iq

Assistant Lecturer Ahmed Basim Hassan Al-Asadi

*University of Karbala – Center for Continuing Education*

Ahmed.b@uokerbala.edu.iq

## Summary:

Given the significant importance of Friday sermons in the holy city of Karbala, both locally and internationally, this study sheds light on their significance by outlining their characteristics. It then addresses the major events that disrupted social peace in Iraq, followed by an examination of the positions taken by the religious authority (Marja'iyya) regarding these events—positions often expressed through Friday sermons, which played a profound role in promoting peace among the people of Iraq.

In reality, this study primarily relies on the texts of Friday sermons, with limited reference to other sources.

Keywords: Friday sermons, religious discourse, social peace, religious authority (Marja›iyya).

## المقدمة

عصفت بالعراق بعد سنة ٢٠٠٣م، عواصف طائفية أزهقت نفوس آلاف الأبرياء من أبنائه، مع الاعتداءات المتكررة على المراقد المقدسة لا سيما الاعتداء الآثم والحدث الأبرز في بابه وهو تفجير مرقد الإمامين العسكريين (عليهما السلام)، مع بروز ظواهر عشائرية خطرة، وعمليات اختطاف وقتل على الهُوّيّة، وتصاعد الاحتجاجات الشعبية والتي كانت تخرج عن سلميتها أحيانًا؛ وأسبابها كثيرة ومنها تفاقم الأزمات، ونقص الخِدمات العامة، وكثرة المساوئ في إدارة البلد، وهذه المشكلات وغيرها زعزعت السلم المجتمعي وكادت بعض الأحداث البارزة أن تؤدّي إلى حرب طائفية بغيضة، علمًا بأن هناك ما يُشجّع على حدوثها، كالفتاوى التكفيرية والخطاب الضال والمنحرف الذي كان يصدره بعض الأشخاص من داخل العراق وخارجه، مدعومًا بالإعلام الذي سُخّر له كثيرًا.

وفي وسط هذه الفِتَن والمِحَن التي عاشها العراقيون، كان ينطلق من النجف الأشرف صوتٌ أبويٌّ حكيم شعاعه إلى مناطق العراق كافة، عبر بثٍّ كثير منه من مدينة كربلاء المقدسة حيث منبر الجمعة، فكان له أبلغ الأثر في تهدئة النفوس وإنارة الطريق ليُخرِج بذلك العراقيين من أسوأ مرحلة عاشوها في تاريخهم المعاصر.

إن خطب الجمعات التي نحن بصدد دراسة بعض نصوصها لا يخفى ما لها من الأهمية، فهي بحق أحد أهم مصادر تاريخ العراق المعاصر، لمواكبتها للأحداث أوّلًا بأول، سياسية وأمنية واجتماعية واقتصادية وتربوية وتعليمية وغيرها، وأنها لا تأتي إلّا بعد دراسة دقيقة لما يجري في البلاد، وأن ما يُطرح فيها لا يخرج أبدًا عن رأي المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف، بل إن كثيرًا من الآراء والمواقف الحاسمة كان الخطيب يتلقّاها بنصٍّ مكتوب يأتيه من النجف الأشرف، ويقرأه كما هو. انطلاقًا من هذه الأهمية، جاءت هذه الدراسة وجعلتها في مبحثين، الأول يدرس خصائص الخطاب الديني، والآخَر يدرس أبرز الأحداث المزعزعة للسلم المجتمعي وموقف خطبة الجمعة منها، ثم كانت الخاتمة وفيها ذكرنا أبرز النتائج التي تمخضت عنها الدراسة.

## المبحث الأول

## خصائص خطاب الجمعة

بعد سنة ٢٠٠٣م، ونتيجة لتغيير النظام السياسي في العراق وحصول الفراغ في هذا الجانب، ظهرت في طول البلاد وعرضها خطابات سياسية ودينية مختلفة، ذات مآرب معروفة لدى القاصي والداني، بعضها تُصَنّف وطنية، وبعضها الآخر ذات أهداف خبيثة لم يجنِ منها الشعب العراقي إلّا الدمار والتخلّف، ومن هنا كان لا بد من إبراز الخطاب الديني الوطني ومعرفة خصائصه التي اختصَّ بها وميّزته من غيره من الخطابات، ولا أرى أحدًا يزعم أن هناك خطابًا أفضل من خطاب الجمعة في كربلاء المقدسة، وهذه أهم خصائصه:

### أوّلًا: الاعتدال في الخطاب:

إن أوّل سمة يلحظها السامع والقارئ للخطاب الديني الصادر عن المرجعية العليا في النجف الأشرف وممثلها في كربلاء المقدسة هي الاعتدال، ويأتي هذا النوع الخطابي المميز في قبال الخطابات المُضلّلة من داخل العراق وخارجه التي أسهمت كثيرًا في زعزعة الأمن العراقي وإشعال فتيل نار الطائفية بين مكوناته المتعددّة.

والاعتدال في الخطاب، في حقيقة الأمر، لم يكن أمرًا سهلًا، إذا ما علمنا بأن الفكر التكفيري والعمل الإرهابي الذي طال أبناء العراق لا سيما أبناءه الشيعة بعد سنة ٢٠٠٣م، كان يزداد يومًا بعد يومٍ وعامًا بعد عام، فكان الأمر يحتاج إلى صبر جميل وحكمة بالغة وشعور كبير بالمسؤولية المُلقاة على كاهل المرجع الأعلى (دام ظلّه الشريف)، وهي سمات توفّرت كلها وزيادة في هذه الشخصية الوطنية المُحِبّة للعراق، لذلك نرى خطب الجمعات منذ أوائل انطلاقها في الصحن الحسيني الشريف سنة ٢٠٠٣م، تذكر تأكيد المرجع الأعلى على أهمية الحوار الذي يحفظ للشعب العراقي بجميع طوائفه حقّه الكامل(الصافي، أحمد ، خطبة الجمعة، ٢/ ١/ ٢٠٠٤م )، وهذا خطاب قلّ نظيره؛ لأنه جاء بعد أن كان الشيعة مهمّشين سياسيًا ومسلوبي الحقوق وتعرّض الكثير من أبنائهم إلى أشد أنواع التعذيب والقتل والسجن والتهجير، ولكن المرجعية أبَت إلّا أن تكون أبًا للجميع، فكانت ولا تزال تنادي بالعدالة والحُرية وضمان الحقوق بكل أشكالها، ولجميع أبناء الشعب العراقي (الكربلائي، عبد المهدي، خطبة الجمعة، ١٦/ ١/ ٢٠٠٤م).

### ثانيًا: استقلالية الخطاب ونزاهته

وفّر استقلال السلطة الروحية لمرجعية النجف الأشرف العليا عن السلطة السياسية الحاكمة في العراق خطابًا مستقلًا ومُنزّهًا، وهو ما أدّى إلى أخْذ كامل الحُرّية في طرح آرائها كتابةً أو شفاهًا عبر منبر الجمعة حول سياسات الحكومات العراقية المتعاقبة بُغية استقامة أحوال العباد وأوضاع البلاد، فكان خطيب الجمعة لا يأبه من ذكر أيِّ سلبية أو تقصير حكومي في أيٍّ من الملفات السياسية أو الأمنية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الخِدْمية أو الدينية، والتي كان كثير منها مزعزعًا للسلم المجتمعي، ومن الجَنَبَة الاجتماعية كان الخطيب أيضًا غير آبهٍ وغير متحرّج في انتقاد الظواهر غير الحضارية لدى المجتمع لا سيما التي تقف بالضد من تحقيق السلم بين أفراده، وهذا أمر واضح لمَن سمع الخطابات أو قرأها.

إن استقلالية الخطاب الديني لدى المرجعية العليا جعلها دومًا إلى جنب الحق مع مُناصرة المظلومين والمطالبة بحقوقهم، وكانت تنسب التقصير وتُلقي باللائمة-في الأغلب-على ساسة العراق، فإذا ما حصل خرق أمني-مثلًا-نسمع صوت المرجعية يتوجّه بقوّة إلى أصحاب القرار لإيقاظهم من غفلتهم، كالذي حصل بعد سلسلة من التفجيرات الإرهابية الدامية

سنة ٢٠١٢م، فقد انتقد الخطيب الخطاب السياسي في الإعلام بخصوص تلك التفجيرات، بعد أن وجده خطابًا متشنجًا واستفزازيًا كلّه اتهامات وسوء ظن بعضهم ببعض، داعيًا إلى اعتماد اللغة الهادئة والحوار البنّاء والمتفهّم للشريك الآخَر، لا أن يكون الساسة في وادٍ والشعب في وادٍ آخَر(الكربلائي، خطبة الجمعة، ٢٣/ ٣/ ٢٠١٢م).

### ثالثًا: ثبات الخطاب

ونعني به أن الخطاب الديني لدى المرجعية، كان خطابًا ثابتًا منذ أوّل خطبة وحتى آخِر خطبة أُلقيت بتاريخ ٢٨/ ٢/ ٢٠٢٠م، فلم تطرح المرجعية يومًا رأيًا ثم تتراجع عنه، أو تُشخّص موقفًا سلبيًا لدى جهة معينة ثم تُصححه في مناسبة أخرى، أو تنتقد ظاهرةً ما سياسية أو اجتماعية أو غيرها ثم تؤول لتصحّح ما قالت بالأول، وهكذا لم يصدر خطابًا واحدًا فيه تناقض، فقد كانت الوحدة الوطنية والدعوة إلى السلمية حتى في أشد الظروف قساوة وتحصيل الأمان والعيش الكريم ونيل الحقوق لجميع المواطنين العراقيين باختلاف مشاربهم هي السمة الواضحة والوحيدة، ولعل أصدق مصداق على ذلك هو خطابها بعد تفجير مرقدي الإمامين العسكريين (عليهما السلام) بتاريخ ٢٢/ ٢/ ٢٠٠٦م، فقد جاء توجيه المرجعية وعبر ممثلها: ((وفي الوقت الذي نُقدّر فيه مشاعر الصدمة، وهول المأساة والفجيعة التي يعيشها محبو أهل البيت (عليهم السلام) فإن المرجعية الدينية العليا وعلى لسان مكتب سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظلّه الوارف) تؤكد على أن الجميع أن لا يبلغ بهم هذا المصاب الجلَل مبلغاً يجرّهم إلى اتّخاذ ردود أفعال قد تجرّ البلاد إلى فتنة طائفية وتحقيق ما يريده أعداء هذا الشعب من إيقاع الاقتتال بين الشيعة والسنة وإغراق البلاد في بحار من الدماء، ومن ثم جرّها إلى دوامة الفوضى وعدم الاستقرار. وتؤكد المرجعية الدينية العليا للجميع شيعة وسنة أننا أحوج ما نكون في هذه الأيام العصيبة إلى التعايش الأخوي السلمي بين الجميع، ونبذ التعامل بالعنف، وبذل كل الجهود للحفاظ على وحدة هذا الشعب وتماسكه)) (الكربلائي، خطبة الجمعة، ٢٣/ ٢/ ٢٠٠٦م) ، وقد ظل هذا الخطاب المميّز على الدوام، وهذا أمر يندر وجوده في خطابات عصرنا هذا لا سيما الدينية، فكثير ما سمعنا وقرأنا خطابات من جهات مختلفة ينقض بعضها بعضًا، مع ما تحمله من لغة داعمة للحقد والكراهية بين أبناء البلد الواحد.

### رابعًا: شمولية الخطاب:

لم تترك خطب الجُمعات موضوعًا نافعًا للفرد والمجتمع إلّا وأدلَت بدلوها فيه، فكان الخطيب يتحدّث في الجانب السياسي بمختلف تفرعاته الكثيرة، وفي الجانب الاقتصادي وتأثيراته المختلفة، وفي الجانب الأمني ومسؤولياته المعقّدة، وفي الجانب الاجتماعي وقضاياه المتعددة، وفي الجانب الديني بما يحمله من توجيهات إرشادية وتوعوية وما لفّه من خطر مدّعي

الزعامات الدينية المصطنعة التي أضلّت عددًا من أفراد المجتمع وهدّدت أمنه وعبثت بالسلم بين بعض أبنائه، وغير ذلك من الجوانب الكثيرة (الصافي، خطبة الجمعة، ٢/ ١/ ٢٠٠٤م؛ الكربلائي، خطبة الجمعة، ٩/ ١/ ٢٠٠٤م؛ الكربلائي، خطبة الجمعة ١٦/ ٩/ ٢٠٠٥م؛ الكربلائي، خطبة الجمعة، ١/ ٢/ ٢٠٠٨م وغيرها).

ولم يكن خطاب الجمعة مقتصرًا على الوضع العراقي حسب، بل كان الخطيب يذكر المسلمين في بقاع الأرض المختلفة، وينقل آراء المرجعية الدينية حول ما يحصل للمسلمين من ظُلم واضطهاد وقتل واحتلال لبعض أرَضِينهم، كفلسطين التي نالت اهتمام المرجعية ودعت إلى نصرتها (محمد عبد الجليل، المرجعية الشيعية والقضية الفلسطينية، ص١٦٤-١٦٦)، مقدّمًا في ذلك كلّه رأيه في إصلاح الأمور وتجاوز الأزمات (الكربلائي، خطبة الجمعة، ١٤/ ٦/ ٢٠١٣م؛ ٢٥/ ٧/ ٢٠١٤م؛ ٨/ ٨/ ٢٠١٤).

### خامسًا: وضوح الرؤية ودقّة التشخيص

إن الخطاب الديني في يوم الجمعة هو حصيلة لدراسة متأنية للوضع العراقي العام، فأكسبه هذا الأمر رؤية واضحة ودقّة كبيرة في تشخيص الخلل سواء في الجانب السياسي وهو الأهم لدى المرجعية لا سيما بعد سقوط النظام البعثي مباشرة (الصافي، خطبة الجمعة، ٢/ ١/ ٢٠٠٤م)، أو الاقتصادي أو الأمني أو الاجتماعي، ومن هنا كان الخطاب له أهميته في وسائل الإعلام المحلية والعالمية التي تتسارع إلى نقله وتحليله، زيادة على أهميته عند جموع المواطنين الذين كانوا ينصتون إليه من مختلف أمكنتهم.

وفي الحقيقة، لم نجد في عصرنا خطابًا مؤثرًا ونافعًا للفرد والمجتمع مثل الذي وجدناه في هذا الخطاب، وليس أدَل على ذلك من تحقيقه للسلم المجتمعي عبر استجابة الجماهير إلى دعوات المرجعية إلى الوحدة والتعايش السلمي ونبذ العنف وإشاعة روح المحبة والسلام بين العراقيين كافة، ودفع المخاطر عن أرضه ومقدساته، وكان هذا الخطاب يوجّه إلى بلاد العالم الإسلامي أيضًا، لتحقيق الأهداف نفسها (الكربلائي، خطبة الجمعة، ١٤/ ٦/ ٢٠١٣م).

## المبحث الثاني

## أهم الأحداث المزعزعة للسلم المجتمعي وموقف خطبة الجمعة منها

شهد العراق بعد سنة ٢٠٠٣م، أحداثًا ذات خطورة بالغة، زعزعت أمنه الاجتماعي، فمن تناحر طائفي تغذّيه جهات محلية وإقليمية ودولية، إلى عمليات إرهابية تفجيرية يومية، إلى الاعتداءات المتكررة على المراقد المقدسة، إلى بروز بعض الظواهر العشائرية المتخلفة ومنها ظاهرة الدكّات العشائرية، إلى عمليات التهجير القسري ونزوح الآلاف من مساكنهم، إلى عمليات القتل الجماعي الفظيع، إلى الغزو الداعشي للمناطق الغربية من العراق، واختتامًا باحتجاجات تشرين الشعبية نتيجة المساوئ الحكومية الكثيرة.

كل هذه الأحداث والقضايا وغيرها كانت خطبة الجمعة توليها اهتمامًا وفي أوليات عنواناتها الخطابية، مبتغية من وراء ذلك توعية الجماهير وتثقيفها بثقافة التسامح والتعايش السلمي ونبذ الطائفية واستحصال الحقوق بالطرق السلمية، ونظرًا لكثرة تلك الأحداث فإننا سنقتصر على ذكر أبرزها، وهي:

### أوّلًا: حادثة جسر الأئمة

نتذكّر جيّدا هذه الحادثة التي وقعت في يوم الأربعاء ٣١/ ٨/ ٢٠٠٥م، بعد إشاعة انتشرت بوجود انتحاري بين صفوف زائري الإمام الكاظم (عليه السلام) بمناسبة ذكرى استشهاده، فحصل على أثر تلك الإشاعة تدافع شديد بين الزائرين، فمنهم مَن سقط في مياه نهر دجلة ومات غرقًا، ومنهم مَن مات على الجسر اختناقًا أو سحقًا لشدة الاصطكاك، فكان اعداد الشهداء هذه الحادثة بالمئات، وقد أُريدَ منها إحداث فتنة عظيمة بين طائفتين كبيرتين من طوائف العراق، ولكن هذا لم يحصل ولله الحمد، وإنما الذي حصل أن بادرَ احد المواطنين واسمه (عثمان العبيدي) وهو من أسرة سُنيّة إلى دخول نهر دجلة لإنقاذ ما يمكنه إنقاذه، فأنقذ سبعة ثم أعياه التعب فمات مع إخوته الشيعة، فاستثمر الخطاب المعتدل هذه الحادثة ليُبرّز الموقف المشرّف لهذا الرجل، فوصفه الخطيب بأنه ذو معدن جميل وأنه ابن هذا البلد الطيّب (البدري، سامي، خطبة الجمعة، ٢/ ٩/ ٢٠٠٥م).

### ثانيًا: تفجير مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام

في شهر شباط سنة ٢٠٠٦م، قام مسلحون باقتحام المرقد وزرع عبوات ناسفة تحت قبة الضريح وتفجيرها ما أدى إلى انهيار القبة، ووجهت أصابع الاتهام إلى تنظيم القاعدة وبعد الحادث انتقد السيد السيستاني (دام ظلّه الشريف) قوات الاحتلال ودعا إلى المصالحة بين الطوائف، وأعقب التفجير حالة من الغليان الشعبي وهجمات متبادلة على مساجد للشيعة والسنة، وبلغ التشنج الطائفي أوجه بعد التفجير، وعلى الرغم من الضغوط الشعبية الشديدة التزمت المرجعية بأسلوب التهدئة ومبدأ الحوار والتفاهم مؤكدة وجوب المحافظة على وحدة العراق أرضاً وشعباً، وأن على الشيعة والسنة العمل معًا من أجل الحفاظ على وحدتهم والدفاع عن ثوابتهم الوطنية والدينية (نصير، راجي، ٢٠١٨: ١٨٩).

وأمّا في خطبة الجمعة، فقد أكّدت مبدأ التسامح ونبذ العنف وتغليب جانب العقل على العاطفة، رغم عِظَم المصيبة، ولجمالية الخطاب وعقلانيته سنضطر إلى نقل النص بتمامه، قال الخطيب: ((وجَّه البعض انتقاداً إلى بعض المرجعيات الشيعية لدعوتها للتظاهر السلمي ردًا على الاعتداء الوحشي على العتبة المقدسة في سامراء، واعتبر ذلك خلاف ما ينبغي انتهاجه من سياسة التهدئة في مثل هذه الظروف! لقد حرصت المرجعية الدينية العليا ومنذ الساعات الأولى للحادث، وعبر مختلف وسائل الإعلام على تهدئة الجماهير التي

صدمتها وهالها عظيم الجريمة التي ارتُكبت بحق أهل البيت (عليهم السلام) وقد أكّدت منذ اللحظات الأولى حُرمة التعرّض لأماكن العبادة، ومساجد أهل السنة، فإن جميع المساجد سواء أكانت للشيعة أم للسنة هي بيوت الله تعالى ولها نفس القداسة والحرمة. إن مثل هذه المسيرات والتظاهرات هي من أدنى ردود الفعل التي تقتضيها الغيرة الإسلامية على المقدسات، حينما تنتهك حرمات هذه المقدسات ويُعتدى على رموزها وحتى لا يشعر هؤلاء الجُناة بأن جريمتهم الشنعاء مما لا تلقى ولو أثراً بسيطاً من لدن الجماهير فيتمادون في غيّهم وحمقهم وحتى يكون ذلك رادعاً لهم ولأسيادهم عن تكرار مثل هذه الجرائم والتجاوزات الشنيعة.

من المعلوم أنَّه في مثل هذه الاعتداءات والجرائم التي تطال المقدسات والرموز الدينية فإن ذلك يؤدي إلى هيجان عواطف عامة الجماهير، وانفعال النفوس بدرجة حادَّة بحيث لا يمكن السيطرة عليها، ومن الممكن أن تقود مثل هذه الانفعالات والعواطف الهائجة إلى ردود فعل غير محسوبة النتائج بحيث لا يمكن السيطرة على الموقف، وربما جرَّ ذلك إلى الاعتداء على الممتلكات وإزهاق الأرواح البريئة، فلا بُدَّ في مثل هذه الأحوال من ترشيد هذه العواطف والانفعالات وتوجيهها بصورة صحيحة، وبدرجة تستطيع هذه الجماهير أن تعبر عن غضبها واستنكارها بحكمة وتعقل، وبما يحفظ الأنفس والأموال والأعراض، ولقد كانت هذه الدعوة تصب في هذا المجرى. لو رجعنا إلى الوراء حيث مسلسل الجرائم الوحشية لهؤلاء الإرهابيين من تفجير الجوامع لأتباع أهل البيت (عليهم السلام) والحسينيات وقتل الأبرياء في الشوارع والساحات العامة والأسواق وذبح المئات من أتباع أهل البيت (عليهم السلام) لا لشيء إلَّا لأنهم يعشقون أهل البيت (عليهم السلام) ويذودون عنهم إتِّباعاً للأمر الإلهي بوجوب محبتهم حيث قال تعالى ((قُلْ لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)) (سورة الشورى، الآية: ٢٣)، وبلغ الأمر حداً أن شيعة أهل البيت (عليهم السلام) لم يعودوا يتحملون هذه المجازر والتضحيات والمآسي والفجائع، فهم ما أن تنفسوا الصعداء بخلاصهم من نظام المجرم اللعين صدام ومقابره الجماعية، حتى دخلوا مرَّة أخرى في مسلسل جديد من الذبح والقتل والتشريد والإرهاب، وكان هؤلاء المفجوعون وعموم شيعة أهل البيت (عليهم السلام) يضغطون باتجاه الردِّ بالمثل على مثل هؤلاء المجرمين، ولكن ردَّ المرجعية الدينية العليا ومن خلال خطاباتها وتوجيهاتها الشفوية والمكتوبة لجميع الوفود من المواطنين كانت تحمل في طياتها سياسة التهدئة، وتحضُّ المواطنين وخصوصاً المؤمنين على التحلي بروح الصبر والحكمة والتسامح مع الجميع وخصوصاً تجاه أهل السنة.

قد يقول قائل إلى متى نصبر على هذه الاعتداءات والانتهاك للمقدسات والحُرُمات من تفجير المساجد والحسينيات، وإزهاق الأرواح البريئة؟ وحتى بلغ الأمر حداً بهؤلاء المجرمين أن تجرأوا على مراقد الأئمة (عليهم السلام)؟ أقول للجوا ب عن ذلك:

لا بُدَّ للإنسان المؤمن الملتزم بتعاليم رسالته وقيمها السامية أن يتقيد بالضوابط الشرعية، حتى في أحلك الظروف؛ لأن الله تعالى يريد أن يختبر عباده بمختلف الابتلاءات ليرى مدى حرصهم على تطبيق أحكام شريعتهم وإنْ كلّفهم ذلك الكثير من الدماء، كما في موقف مسلم بن عقيل (عليه السلام)، فقد كان من الممكن لمسلم (عليه السلام) أن يقتل عبيد الله بن زياد وهو في دار هانئ، ويوفّر على أهل البيت (عليهم السلام) دماءً عزيزة وغالية، ويوفّر على نساء النبوّة السبي والتشريد، ولكن تَقيُّد مسلم (عليه السلام) بالضوابط الشرعية، وامتناعه عن الغدر الذي هو مُحَرّم بالإسلام منعه من أن يفتك بعبيد الله بن زياد ويغتاله غدراً القصة كما ذكرها بعض المؤرخين أن عبيد الله بن زياد أُخبِرَ بمرض شريك بن الأعور وكان نازلًا في دار هانئ بن عروة مع مسلم بن عقيل، فأرسلَ ابن زياد إلى شريك مَن يُعلمه بأنه سيجيءُ إليه عائدًا، فاقترح شريك على مسلم أنه إذا جاء عبيد الله لعيادته يخرج إليه ليقتله، فسمع كلامه هانئ فقال: لا أحب أن يُقتَل في داري، فلما جاء عبيد الله فجلس وسأل شريكًا عن مرضه، وطال جلوسه عنده، فلما رأى شريك أن مسلمًا لا يخرج خشيَ أن يفوته فأخذ يقول:

ما تنظرون بسلمى لا تحيوها
اسقونيها وإن كانت بها نفسي

فقال ذلك مرّتين أو ثلاثاً، فقال عبيد الله: ما شأنه؟ أترونه يخلط؟ فقال له هانئ: نعم، ما زال هذا دأبه قُبيل الصبح حتى ساعته هذه، فانصرف.

فلما قام ابن زياد خرج مسلم بن عقيل، فقال له شريك: ما منعك من قتله؟ قال: خصلتان، أما إحداهما فكراهية هانئ أن يُقتَل في داره، وأمّا الأخرى فحديث النبي (صلى الله عليه وآله): ((إن الإيمان قيد الفتك، فلا يفتك مؤمن).( الطبري، ١٩٨٧م، مج٣: ٢٨٣-٢٨٤؛ ابن الأثير، ١٩٩٧م، ج٣: ١٣٨)، وحينئذٍ وإن كانت التضحيات جسامًا بعد ذلك ولكن كان الخلود في الدنيا والآخرة ورضا الله تعالى والذكر الحَسَن نصيب هؤلاء المتقيدين بأحكام شريعتهم.

ومن الممكن الآن لشيعة أهل البيت (عليهم السلام) أن يردوا كما يفعل الإرهابيون من القتل للأبرياء والاعتداء على المقدسات، ولكن هل أن ذلك يُرضي الله تعالى؟ وهل يكتب لهم التاريخ صفحة بيضاء كما كتبها لمسلم وللحسين (عليه السلام) وأصحابه؟

على الإنسان العاقل أن يوازن بين أمرين إذا كان كُلٌّ منهما فيه ضرر بليغ، وليس أمامه خيار ثالث بأن يختار ما هو الأقل ضررًا والأهون شرًّا فإنَّ الردَّ على هؤلاء المجرمين بمثل ما يفعلون سيقود البلاد إلى حرب أهلية وفتنة طائفية ضررها جسيم، وخطرها عظيم على الجميع وعلى بلدنا وشعبنا)) (الكربلائي، خطبة الجمعة، ٢٥/ ٢/ ٢٠٠٦م).

### ثالثًا: التهجير القسري

شهدت عدد من المحافظات العراقية عمليات تهجير واسعة بحق مختلف مكوناته ولم يسلم منه صاحب دين ولا مذهب؛ وذلك نتيجة لبروز النفس الطائفي لدى جماعات من جهة، وقيام داعش الإرهابي بذلك من جهة أخرى، ولما كانت هذه الظاهرة ذات مخاطر لا سيما على السلم المجتمعي، لذلك صارت محل اهتمام خطبة الجمعة، فكثير ما خصصت لها وقتًا ودعت إلى حل الأزمة التي أخذت تتفاقم يومًا بعد يوم، وما تزال آثارها ووجود بعض النازحين بعيدين عن ديارهم حتى وقتنا هذا.

فجاء في أحد خطب الجمعات: للأسف الشديد يمر البلد الآن بحالة من حالات التهجير القسري، والإحصاءات الإعلامية، تقول: إن هناك أكثر من خمسة وعشرين ألف فرد قد شُرِّدوا من مناطقهم، وهذا الرقم حقيقة رقم كبير، ورقم لا يتناسب مع وضع العراق الجديد.

ودعا الخطيب إلى حل هذه المشكلة الاجتماعية حلًا جذريًا وعدم الاكتفاء بتوفير المخيمات والحصة التموينية للنازحين، مُشيرًا أن هناك يدًا وراء هذه السياسة محلية ودولية (الصافي، خطبة الجمعة، ٣١/ ٣/ ٢٠٠٦م).

ومن باب درء الفتنة الطائفية والسيطرة على مشاعر الناس وغضبهم، وحضّ المسؤولين والمواطنين على استشعار مبدأ الأُخوّة والإنسانية والوطنية، قال خطيب آخر: ((إنَّ الوضع الصعب والمأساوي الذي وصل إليه التهجير القسري للعوائل العراقية، ونزوح المئات منها وربَّما يصل الى آلاف العوائل الى مدنٍ أُخرى ينذر بتفاقم أزمات البلد الكثيرة، وإذا لم يتم حلُّ هذه المشكلة فمن الممكن أن يصل الأمر الى حدٍ لا يمكن فيه السيطرة على مشاعر الغضب. والمعاناة التي تمرُّ بها فئاتٌ كثيرة من هذا الشعب المظلوم بحيث يؤدي ذلك الى انفجار الوضع وتفاقم الأزمة الأمنية.

ومن هنا فإنَّنا نهيب بأجهزة الدولة ومؤسساتها وخاصةً الأجهزة الأمنية بضرورة معالجة هذا الوضع وحلّ المشكلة من جذورها، وعلى الأقل توفير مأوى مناسب لهم وتسهيل مستلزمات حياتهم اليومية.

ونهيب كذلك بالمواطنين استشعار المسؤولية الدينية والوطنية المُلقاة على عاتقهم في الوقوف مع هذه العوائل النازحة في محنتها، وذلك من خلال تقديم المساعدات المالية والعينية لهم، وخاصةً ما يتعلق بالمأوى وإعانتهم في سدِّ احتياجاتهم، فإن الإيمان الحقيقي إنَّما يكون للمسلم في مثل هذه المحن والابتلاءات، وليتذكر كُلُّ واحدٍ منَّا أنَّه من الممكن أن يُبتلى بمثل ما ابتُليت به هذه العوائل، فكما يجب أن يعامل بالرحمة والعطف والموقف الإيماني المُسانِد له في محنته وابتلائه، فكذلك يجب عليه أن يكون له نفس الموقف الذي يجب أن يكون من الناس اتجاهه)) (الكربلائي، خطبة الجمعة، ٢١/ ٤/ ٢٠٠٦م).

### رابعًا: الخطف والقتل على الهُويّة

وهذه ظاهرة عانى منها العراقيون كثيرًا، فكان لا بُدّ للخطاب المعتدل أن يضع يده عليها؛ منعًا للفتنة وتحقيقًا للسلم وإبقاء أواصر الأخوّة والمواطنة قوية، فجاء في احدى خطب الجمعات: ((لقد استفحل أمر الاختطاف والقتل على الهوية، ولا بُدَّ من الاسراع في اختيار مَن يملك الأهلية والجدارة والولاء للوطن بجميع فئاته ومكوناته السياسية والاجتماعية، والحزم والشجاعة في اتخاذ القرار المناسب لمنصبَي الداخلية والدفاع.

وبهذه المناسبة فإنَّنا نناشد العشائر العراقية خاصة في المناطق الغربية من بلدنا العزيز التدخل العاجل لدى المجموعة التي خطفت الفريق الرياضي العراقي على طريق الفلوجة والرمادي والذين كانوا في طريق سفرهم إلى الأردن ، إذ إن ترك ما يمر به البلد من جرائم الخطف و القتل من دون علاج سيؤدي إلى تفاقم الأمر، وقد يكون عدم حل هذه المسألة وبصورة عامة قضايا الخطف والقتل على الهوية إلى قيام بعض الجهات والأشخاص بعمليات خطف وقتل مُقابِلة لتلك العمليات وهذا سيؤدي إلى تدهور الوضع الأمني بصورة يصعب حلّها قريباً وحينئذٍ ستنتشر الفوضى الأمنية الى بقية المناطق.

وأودُّ أن أوجه ندائي الى جميع العشائر العراقية من الشيعة والسنة الى ضرورة عقد مؤتمر عشائري لوضع آلية تعاونٍ وتنسيق فيما بينها، الغرض منها تفعيل دور هذه العشائر التي عرفت بحسها الوطني والديني في المساهمة بوضع حدٍّ لعمليات الخطف والقتل التي صبغت حياة كُلِّ مواطن ومواطنة عراقية بلون الدم ولوعة اليتامى وفجيعة الأرامل والثكالى)) (الكربلائي، خطبة الجمعة، ٢٦/ ٥/ ٢٠٠٦م).

### خامسًا: الغزو الداعشي

اجتاح تنظيم داعش الإرهابي بعض المحافظات العراقية بتاريخ ١٠/ ٦/ ٢٠١٤م، فكانت مدينة الموصل أوّل المدن التي استولى عليها التنظيم الإرهابي، ثم تلتها تكريت، ثم الأنبار، وامتدّت التهديدات إلى أطراف العاصمة بغداد، ولقد كان هذا الغزو البربري هو أعتى غزو يواجهه العراق في تاريخه المعاصر، فبعد يومين من الغزو ارتكب داعش بمساندة بعض الأشرار أكبر مجزرة بحق العراقيين في قاعدة سبايكر الجوية بمدينة تكريت، وفيها قضى أكثر من ألف وسبعمائة شابًا نحبهم رميًا بالرصاص، وآخرون ما يزالون مفقودين، ولقد كان الحدث كفيلًا بإشعال الفتنة الطائفية، ولكن المرجعية الدينية المعروفة بنظرتها الثاقبة ودقّة تشخيصها لأوضاع العراق، رأت في هذا الغزو الداعشي خطرًا على البلاد والعباد لا يمكن السكوت عنه، لا سيما أن القوات المسلحة العراقية باتت ضعيفة أمام هذا التحدّي، فما كان أمام المرجعية وعبر ممثلها في كربلاء إلّا اصدار الفتوى الجهادية الكفائية بعد ثلاثة أيام من الغزو الداعشي، فلبّى العراقيون النداء إذ كانت الفتوى موجّهة للجميع من دون استثناء، وبذلك فهي قد وحّدت الجهود وفككّت

المخطط الطائفي، ومما جاء في خطبة الجمعة بهذا الشأن: ((إنّ العراق وشعب العراق يواجه تحدّيًا كبيرًا وخطرًا عظيمًا وإنّ الإرهابيين لا يستهدفون السيطرة على بعض المحافظات كنينوى وصلاح الدين فقط بل صرّحوا بأنّهم يستهدفون جميع المحافظات، لا سيّما بغداد وكربلاء المقدسة والنجف الأشرف، فهم يستهدفون كلّ العراقيين وفي جميع مناطقهم، ومن هنا فإنّ مسؤولية التصدي لهم ومقاتلتهم هي مسؤولية الجميع ولا يختصّ بطائفةٍ دون أخرى أو بطرفٍ دون آخر)).

وأضاف الخطيب: ((إنّ دفاع أبنائنا في القوات المسلحة وسائر الأجهزة الامنية هو دفاع مقدّس، ويتأكّد ذلك حينما يتّضح أنّ منهج هؤلاء الإرهابيين المعتدين هو منهج ظلامي بعيد عن روح الإسلام، يرفض التعايش مع الآخر بسلام، ويعتمد العنف وسفك الدماء وإثارة الاحتراب الطائفي وسيلةً لبسط نفوذه وهيمنته على مختلف المناطق في العراق والدول الأخرى.

يا أبناءنا في القوات المسلحة أنتم أمام مسؤولية تاريخية ووطنية وشرعية، واجعلوا قصدكم ونيّتكم ودافعكم هي الدفاع عن حُرُمات العراق ووحدته وحفظ الأمن للمواطنين وصيانة المقدسات من الهتك ودفع الشر عن هذا البلد المظلوم وشعبه الجريح.

وفي الوقت الذي تؤكّد فيه المرجعية الدينية العليا دعمها وإسنادها لكم–يا أبناءنا في القوات المسلحة– تحثّكم على التحلي بالشجاعة والبسالة والثبات والصبر، وإنّ من يضحّي–هذه الفقرة مهمة–منكم في سبيل الدفاع عن بلده وأهله وأعراضهم فإنّه يكون شهيدًا إن شاء الله تعالى)) (الكربلائي، خطبة الجمعة، ١٣/ ٦/ ٢٠١٤م).

واستمر الخطاب بكل اعتدال ووطنية، فجاء في خطبة أخرى: ((نوصي جميع الأطراف بالابتعاد عن أيّ شحن إعلاميّ طائفيّ أو قوميّ بين مكونات الشعب العراقي، فإنّ ذلك سيؤدّي إلى تأزيم الأوضاع أكثر بما يُولِّد من مشاعر عدائية بين هذه المكونات، والذي قد يترجمه البعضُ إلى أعمال عنفٍ، كما وصلتنا أخبار عن ذلك من بعض المناطق.

إنّ الشعب العراقي بجميع مكوّناته وطوائفه بعُرْبِهِ وكردِهِ وتركمانِهِ بشيعتِهِ وسنّتِهِ ومسيحييه وغيرهم، يقفون صفًّا واحدًا أمام إرهاب الغرباء الذين عاثوا فسادًا في أرض العراق، ولا يجوز أن يتّهمَ بعضُنا البعضَ الآخر بأيّ موقف غير لائق خلاف ذلك)) (الكربلائي، خطبة الجمعة، ٢٧/ ٦/ ٢٠١٤م).

بهذه الصورة كان الخطاب الديني الوطني، الذي جمع العراقيين تحت راية واحدة، ولم يسمح للدخلاء بتفكيك صفوفهم وتعكير صفو السلم بينهم، حتى تحقّق النصر بفضل اعتدال الخطاب ودقّة التشخيص.

### سادسًا: احتجاجات تشرين

لم يحقق النظام السياسي العراقي ما بعد سنة ٢٠٠٣م طموحات الشعب العراقي في بناء دولة قوية مع نقص شديد في الخِدمات العامة، فأدى إلى قيام احتجاجات في عموم البلد وازدادت بشكل ملحوظ سنة ٢٠١٩م في ما سُمّيَ (بانتفاضة تشرين) كونها بدأت في الأول من تشرين الأول من السنة المذكورة.

وكان للمرجعية على الدوام مواقف مساندة للمطالب الشعبية بالطرق السلمية، ولكن حصل خلال الاحتجاجات الشعبية أعمال عنف وسقوط ضحايا من القوات الأمنية والمحتجّين، وحدوث اغتيالات وعمليات قتل بين صفوف المحتجين، فانبرت المرجعية وعبر ممثلها في خطبة الجمعة إلى تهذيب تلك الاحتجاجات باتباع الطرق السلمية لاستحصال الحقوق منعاً من انجرار البلد إلى الفوضى والاقتتال الداخلي، فجاء في إحدى خطب الجمعة: ((أن هذه الاعتداءات على المتظاهرين السلميين وعلى القوات الأمنية مُدانة ومرفوضة)) (الصافي، خطبة الجمعة، ٤/ ١٠/ ٢٠١٩م) ، كما دعت مسؤولي الدولة إلى أن يغلّبوا لغة العقل والمنطق ومصلحة البلد وحذّرت الجميع من التداعيات الخطيرة لاستخدام العنف والعنف المضاد (الصافي، خطبة الجمعة، ٤/ ١٠/ ٢٠١٩م).

وعلى الرغم من ذلك فإن أحداث العنف تصاعدت وقُتِل عدد من المحتجّين وجُرِح العشرات منهم وحصل اعتداء على بعض وسائل الإعلام لمنعها من نقل الاحتجاجات في ساحات التظاهر، فعبّرت المرجعية عن إدانتها بشدّة ما جرى من إراقة للدماء البريئة والاعتداءات الجسيمة بمختلف أشكالها وتضامنها مع المطالب المشروعة للمتظاهرين السلميين (الكربلائي، خطبة الجمعة، ١١/ ١٠/ ٢٠١٩م) .

ثم تصاعدت الاحتجاجات بشكل غير مسبوق وعاد المحتجّون بقوّة إلى ساحات الاحتجاج ونصبوا خيمهم يوم (٢٥ تشرين الأول) الذي اتُّخِذ ذكرى انطلاق الانتفاضة، وقد دعت المرجعية المحتجّين في أحد بياناتها إلى الالتزام التام بسلمية الاحتجاجات وعدم السماح بانجرارها إلى استخدام العنف والتخريب، وأكدت أن الاصلاح الحقيقي يتحقق بالطرق السلمية وبتكاتف العراقيين ورصّ صفوفهم (الكربلائي، خطبة الجمعة، ٢٥/ ١٠/ ٢٠١٩م) .

لقد كان مبدأ سلمية الاحتجاجات هو ما أكدته المرجعية في خطب الجمعة التالية (الصافي، خطبة الجمعة، ١/ ١١/ ٢٠١٩م؛ الكربلائي، خطبة الجمعة ، ٢٢/ ١١/ ٢٠١٩م)؛ وتواصلت أعمال العنف في شهر تشرين الثاني، ففي اليوم الخامس عشر منه، انفجرت عبوة ناسفة في ساحة التحرير واستشهد أربعة من المحتجّين، واغتِيل عدد منهم في بغداد وذي قار، فأكّدت المرجعية ضرورة استمرار مبدأ سلمية الاحتجاج وحُرمة الاعتداء على المحتجّين السلميين، وعليهم أن يميّزوا صفوفهم من غير السلميّين ويطردوهم (الصافي، خطبة الجمعة، ٢٩/ ١١/ ٢٠١٩م). ووضحت (أن اتّباع الأساليب السلمية هو الشرط الأساس للانتصار في معركة الإصلاح) (الصافي، خطبة الجمعة، ١٣/ ١٢/ ٢٠١٩م)

## سابعًا: الدّكّات العشائرية

لم يغفل الخطيب أهمية العشائر العراقية الكبيرة ومآثرها الحميدة، فمجالسها مدارس في الأخلاق والتربية والقيم النبيلة والانتصار للمظلوم والوقوف بوجه أعداء العراق من بريطانيين ودواعش، ولكن في الوقت نفسه حدث

تغيُّر مؤسف لدى بعض هذه العشائر حين تسرّبت إليها بعض الأفعال غير المحمودة التي يرفضها العقل والشرع والقانون، كالانتصار لابن العشيرة بغير حقٍّ، وتغليب الجانب المادي المفرط في حلِّ بعض المشكلات، والاعتداء على موظّفي الدولة، كالاعتداء على الأطباء إذا ما حصل مكروه لمريض أحدهم، ومثله يحصل للمعلمين والمدرسين وأساتذة الجامعات إذا ما حصل لابن العشيرة الفلانية رسوب أو فصل من الدوام أو غير ذلك من الأسباب، وكذلك الأمر بالنسبة لشرطي المرور، فإنه تتم محاسبته من شخص ينتسب لعشيرة ما إذا ما تم إيقافه نتيجة للمخالفة، ويقول له: «ألا تعرفني من أي عشيرة؟!»، ويحصل في بعض المؤسسات عملية نقل للموظف من مكان الى آخر فتأتي عشيرة ذلك الموظف المنقول وتقف بالضد من ذلك، والأخطر من هذا كلّه هو لجوء بعض العشائر إلى استخدام الأسلحة لا سيما النارية الخفيفة والمتوسطة في حالة حصول اختلاف بين هذه العشيرة وتلك، وهذه الظاهرة تسمى بالدكّات العشائرية، كما تنتشر لدى العشائر ظاهرة العراضات التي يُطلق فيها الرصاص بكثافة، وكثير ما شاهدنا أفرادًا يموتون بسببها، وهذه-كما هو واضح- كلها أعمال وتصرفات تعكّر صفو السلم المجتمعي، وتؤدّي إلى التناحر والتباغض بين أبناء المجتمع؛ لذلك كانت خطب الجمعات في كربلاء المقدسة تنبّه على خطورتها وتدعو شيوخ العشائر وكل العقلاء إلى رفض تلك الأعمال والاحتكام إلى صوت العقل والشرع والقانون تحقيقًا للسلم بين الناس (الكربلائي، خطبة الجمعة، ٢/ ٩/ ٢٠٠٤م؛ الصافي، خطبة الجمعة، ٨/ ١٠/ ٢٠٠٤م؛ الكربلائي، خطبة الجمعة، ٤/ ١/ ٢٠١٩م؛ الصافي، خطبة الجمعة، ١٢/ ٧/ ٢٠١٩م).

## الخاتمة:

تمخضت هذه الدراسة التي تناولت بعض نصوص خطب الجمعات في كربلاء المقدسة حيث المرقد الحسيني المطهر بعد سنة ٢٠٠٣عن بعض النتائج ومن أبرزها:

أوّلًا: انمازت خطب الجمعات في كربلاء المقدسة بخصائص قلَّما نجد نظيرها في الخطاب الديني الآخر، تمثلت باستقلالية الخطاب، وثباته، وشموليته، ووضوح رؤيته، ودقّة تشخيصه لمجريات الأحداث العامة.

ثانيًا: تناولت خطب الجمعات مختلف الأوضاع العراقية العامة، سياسية واقتصادية وأمنية واجتماعية ودينية وثقافية وتعليمية وغيرها، فهي بحق تاريخ مختصر شامل للعراق المعاصر.

ثالثًا: كان للخطاب الديني الصادر عن منبر الجمعة أثر كبير في تحقيق السلم المجتمعي العراقي، فقد كان خطابًا وطنيًا لم يفرّق بين طائفة وأخرى أو قومية وأخرى.

رابعًا: أثّرَ الخطاب الديني بصورة جليّة في قلب موازين الخطط والأفكار العدوانية تجاه الشعب العراقي، بتبيانه حقائق الأمور ودعوته إلى نبذ الطائفية في أشد الظروف وأقساها.

خامسًا: كان للخطاب الديني كلمة الفصل وأكبر الأثر في دفع العدوان الداعشي عن العراق وأهله، ودرء الفتن التي ما فتئت تظهر بين الفينة والأخرى، من قتل على الهُويّة وتهجير قسري، والتي كانت غايتها تفرقة الشعب وإدخاله في حرب أهلية مدمّرة.

## المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم

١.-ابن الأثير، علي بن محمد (ت: ٦٣٠هـ)

٢.الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

٣.الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ)

٤.تاريخ الأمم والملوك، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

٥.خطب الجمعات، محفوظة لدى مركز كربلاء للدراسات والبحوث، كربلاء.

٦.نصير، راجي، المرجعية الدينية في الأشرف وأثرها في الرأي العام العراقي بعد عام ٢٠٠٣م، مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، كربلاء، ٢٠١٨م.

٧.محمد عبد الجليل، المرجعية الدينية والقضية الفلسطينية، ط١، مؤسسة الفكر الإسلامي، هولندا، ٢٠٠٢م.